

الأسلوب التجريبي في الفيلم الوثائقي "أصوات"

The Experimental Style in the Documentary Film "Aswat"

د. عبد المنعم لعجال *

جامعة قسنطينة 3 صالح بوبنيدر، الجزائر، abdelmonaime.laadjal@univ-constantine3.dz

تاريخ النشر: 2025/06/03

تاريخ القبول: 2025/05/15

تاريخ الاستلام: 2025/03/27

ملخص:

تركز هذه الورقة البحثية على في الفيلم الوثائقي التجريبي، حيث تتناول هذه الدراسة الممارسة الفنية لصناعة الأفلام الوثائقية التجريبية من خلال إنتاج وتحليل فيلم وثائقي تجريبي بعنوان "أصوات"، نسعى بإنتاج هذا الفيلم إلى محاولة تطبيق النظريات المرتبطة بهذا الأسلوب الوثائقي في طرح مواضيع الهوية والانتماء والتحدي، باستخدام تقنيات تجريبية كالمونتاج التعبيري ودمج الواقعية والتجريب، ويهدف البحث إلى التعرف على أسس وخصائص السينما الوثائقية التجريبية، مع التركيز بشئلى خاص على كيفية تحدي هذا الشكل الفني لهياكل السرد والحبكة التقليدية، وتبدأ المناقشات النظرية بمفهوم الفيلم الوثائقي وطبيعته، محددة منهجه المتمي ز في السرد والأسلوب البصري وسرد القصص إلى غاية تحليل مفصل للفيلم.

كلمات مفتاحية: الوثائقي التجريبي، التجريب، السرد السينمائي، المونتاج، الهوية والانتماء.

Abstract:

this research paper focuses on the experimental documentary genre. The study examines the artistic practice of making experimental documentaries through the production and analysis of a film titled "ASWAT." Through this production, we aim to apply theories related to this documentary style, addressing themes of identity, belonging, and challenge, using experimental techniques such as expressive editing and blending realism with experimentalism. The research seeks to understand the foundations and characteristics of experimental documentary cinema, focusing on how this artistic form challenges traditional narrative and plot structures. Theoretical discussions begin with the concept of documentary films, highlighting their distinctive narrative and visual storytelling approach.

Keywords: Experimental documentary; Experimentation; Cinematic narrative; Editing; Identity and belonging.

abdelmonaime.laadjal@univ-constantine3.dz

* عبد المنعم لعجال

مقدمة:

يُمثل الفيلم الوثائقي التجريبي شكلاً هجيناً من السرد البصري، يتحدى المناهج التقليدية للسينما الواقعية. يستمد هذا النوع جذوره من الواقعية الوثائقية والتقاليد الطليعية، ويسعى إلى توسيع آفاق تصوير الواقع والحقيقة والتجربة على الشاشة. بخلاف الأفلام الوثائقية التقليدية، التي غالباً ما تركز على السرد الخطي والموضوعية ودقة الوقائع، تستخدم الأفلام الوثائقية التجريبية تقنيات غير تقليدية لتقديم تمثيلات ذاتية ومجردة ومجزأة للواقع. يعود تطور الفيلم الوثائقي التجريبي إلى الحركات الطليعية المبكرة في السينما، وخاصة أعمال مخرجين مثل دزيغا فيرتوف، الذي أكد على قدرة الكاميرا على كشف حقائق أعمق من خلال التجريبي ب، لويس بونويل الذي استكشفت الأبعاد السريالية للفيلم. في السينما المعاصرة، تستمر الأفلام الوثائقية التجريبية في التطور، مستعيرة تقنيات من الفنون البصرية والأداء لتجاوز حدود السرد القصصي. غالباً ما تتناول الأطر النظرية لهذه الأفلام مسائل معرفية متسائلة كيف يُمكن لآلية معالجة الواقع أن يُغير الموضوع المؤثّق. بتحديها موضوعية الكاميرا ومفهوم الحقيقة الواحدة، تُشكّك الأفلام الوثائقية التجريبية في الدور التقليدي للأفلام الوثائقية كسجلات سلبية للواقع.

1. مفهوم وآليات عمل الفيلم الوثائقي التجريبي

1.1 مفهوم الفيلم الوثائقي التجريبي:

يمكننا القول أن الفيلم الوثائقي يسعى لنقل الواقع كما هو بحيث يروي قصة عن الحياة الواقعية، قصة تدعي المصادقية، والنقاش بشأن كيفية تحقيق ذلك قائم حد الساعة (أوفدرايدي، 2012) بحكم أن افتراض المعالجة الخلاقة للواقع بحيث يجسد هذا الجنس الفني يركز حسب جون غريغريسون على الظواهر والحياة اليومية الخام الموضوعية أمام الكاميرا وعلى المخرج أن يقوم بتنظيم واختيار ما يجب أن يعرض بهدف خلق القصة (بريك، 2021) وهو ما قد يشكل بداية لتغلب ذاتية صانه ومن جهة أخرى يشير مصطلح "الفيلم التجريبي" إلى أي فيلم يسعى إلى تحدي أسلوب السرد واللغة السينمائية في الأفلام التقليدية أو محاولة كسر القواعد السينمائية والخروج عنها، كما عرف ريس آل في كتابه "تاريخ الأفلام والفيديوهات التجريبية" الأفلام التجريبية بأنها الأفلام «التي تكسر بفعالية تقاليد صناعة الأفلام التقليدية لاستكشاف أشكال جديدة، غير سردية، ومجردة في كثير من الأحيان، لسرد القصص البصرية. يتبنى هذا النوع من الأفلام الابتكار الشكلي، ويرفض توقعات السينما التجارية السائدة من التماسك والسببية والواقعية» (Rees, 1999) وهو الأمر الذي استخدمه رواد السينما الأوائل، مثل لويس بونويل وسلفادور دالي في فيلم كلب أندلسي (1929) بتوظيف تقنيات سريالية لكسر استمرارية السرد الطبيعي وخلق مشاهد أشبه بالأحلام، من أجل كسر أفق توقع الجمهور. لاحقاً واصل

مخرجون مثل ستان براكهاج ومايا ديرين هذا التقليد، مركزين على المونتاج والتصوير السينمائي والمؤثرات البصرية، لتوسيع آفاق الشكل السينمائي.

1.2 طبيعة الفيلم التجريبي:

غالبًا ما تتخلى الأفلام التجريبية عن هياكل الحبكة التقليدية، مُركزةً على خلق تجارب بصرية من خلال التجريد وهو ما سمح باستكشاف طرق جديدة لنقل المشاعر وتجربة الإحساس بالزمان والمكان، مُعطين في كثير من الأحيان الأولوية للشكل على المضمون. على سبيل المثال يتميز فيلم "كلب ستار مان" (1961) "لستان براكهاج ببنيته البصرية المجزأة واستخدامه للمونتاج السريع، مما أنتج فيلمًا أشبه بقصيدة بصرية منه بقصة خطية.

يُجسد مخرجو ن آخرون مثل مايكل سنو وبيتر غريناوي هذه الفكرة. ففي فيلم "الطول الموجي" (1967) " لمايكل سنو الذي يستمر طوال 45 دقيقة مع تحرك الكاميرا ببطء عبر الغرفة بحيث يتغير إدراك المشاهد للمكان بشكل جذري. هنا، يرسم سنو خريطة للغرفة، ليس من خلال سرد تقليدي، بل من خلال استكشاف المكان والزمان نفسيهما وبالمثل، يستخدم فيلم "الشلالات" (1980) "للمخرج بيتر غريناوي بنيةً شبه وثائقية لتقديم دليل خيالي لأشخاص تأثروا بحدث غامض بهدف مخالفة ال توقعات السردية التقليدية، ويقدم بدلاً من ذلك خريطةً مجزأة لعالمٍ مُتخيل.

من أهم التحديات التي يواجهها صانعو الأفلام الوثائقية التجريبية مسألة كيفية تمثيل الواقع بوسائل غير تقليدية. تهدف الأفلام الوثائقية التقليدية إلى نقل الحقيقة والموضوعية، لكن الأفلام الوثائقية التجريبية غالبًا ما تُقر بالذاتية المتأصلة في عملية صناعة الأفلام.

تُجسد أفلامٌ مثل فيلم " فعل القتل (2012) "الجوشوا أوبنهايمر هذا النهج الهجين. يتناول الفيلم مجازر القتل الجماعي الإندونيسية بين عامي 1965 و 1966، ويستخدم إعادة تمثيل الوقائع لاستكشاف الذاكرة والصور الأرشيفية والمقابلات فيُنتج هذا المزج بين عناصر الفيلم الوثائقي والخيالي تمثيلًا مُركبًا للحقيقة التاريخية يتجاوز التقنيات الوثائقية التقليدية.

وبالمثل، يتضمن فيلم "الجامعون وأنا" (2000) "لأغنيس فاردا تقنيات تأملية ذاتية تلفت الانتباه إلى دور المخرج نفسه في السرد. ويوضح استخدام فاردا للكاميرات المحمولة، والتأملات الشخصية، والمونتاج غير الخطي كيف يمكن للمناهج التجريبية أن تقدم طرقًا جديدة لفهم الأحداث والموضوعات الواقعية.

2. البنية السردية والبصرية لفيلم أصوات

2.1 بطاقة تقنية وملخص الفيلم:

عنوان الفيلم: أصوات

النوع: وثائقي تجريبي

سنة الإصدار: 2025

إخراج: عبد المنعم لعجال

تعليق: حمودي لعور

مساعد: ضياء الإسلام حداد

مونتاج: رائد عثماني

التحريك والجنيريك: أكرم لعجال

المدة: 12 دقيقة

ملخص الفيلم:

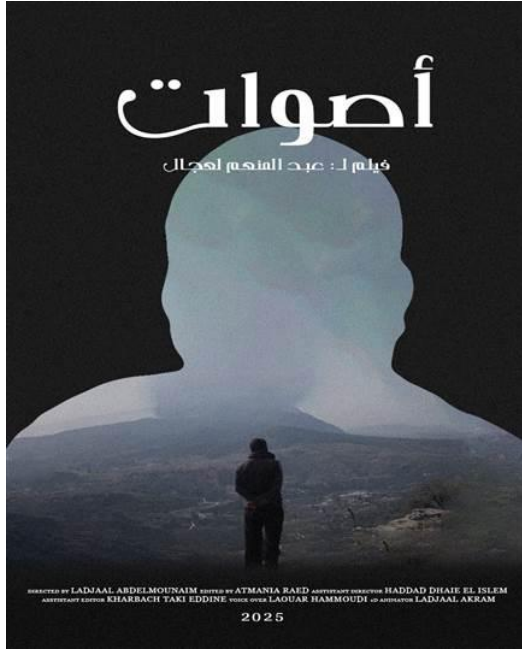
يتناول هذا الفيلم الوثائقي الأصوات المتعالية والخفية للحياة اليومية، لمختلف الفئات الاجتماعية عموماً وشريحة الشباب خاصة في مدينة قسنطينة، من خلال بنية سردية شاعرية دالة على تشعب الثقافات عبر التاريخ المعماري والثقافي يتمازج مع واقع جسور هذه المدينة الحية.

الفيلم يدمج العناصر المرئية والمسموعة؛ يستلهم من التأملات الشخصية والطموحات الشبابية والتحديات التي يواجهها الإنسان؛ ليشكل صور فنية لمدينة متعددة الأصوات الثقافية، ويركز على ثنائية (الأمل، الإحباط) و(الهوية، الأحلام) من خلال عدسة الواقع والكاميرا المحمولة مشكلاً استعارة بصرية لعينة من شرائح المجتمع.

2.2 البنية السردية لفيلم أصوات:

يسرد الفيلم في فصول مواضيع مختلفة، بدلاً من قصة زمنية مباشرة. حيث يبدأ بمقدمة تأملية، يستكشف تدريجياً مواضيع الأمل والهوية والتحديات وأحلام شرائح مختلفة من المجتمع الجزائري. يتناوب البناء السردى لمشاهد من الحياة اليومية والمقابلات الشخصية، جامعاً الواقعية الوثائقية مع التجريد الفني بالترتيب التالي:

المشهد الافتتاحي: يبدأ الفيلم بمشهد تأملي لمدينة قسنطينة، من خلال لقطة واسعة لجسر يبدأ السرد بنص التعليق الذي يدعو، للتأمل في المدينة وروحها. هذا يُحدد نبرة الفيلم، مُقدماً المدينة كاستعارة للصمود التجذر في التاريخ.



صورة رقم 1 تمثل بوستر فيلم أصوات

مشاهد من الحياة اليومية: يتعمق الفصل الأول من الفيلم في روتين سكان المدينة الصباحي، مجسداً حياتهم الدورية، يُقدم هذا الفصل خلفية المدينة من خلال لقطات لشوارع المدينة القديمة ومظاهر الحياة. **الأحلام والتحديات:** ينتقل الفصلان الثاني والثالث من الفيلم إلى تصوير أكثر تجريداً، مع صور لمعرض فني معاصر تتناغم مع المقابلات التي تعرض فئات مختلفة من الناس يتأملون ويناقشون آفاقهم وتحدياتهم المستقبلية ويزداد الطابع تأملاً.

المشهد الختامي: في الفصل الأخير، يترك الفيلم للجمهور شعوراً بالأمل والعزيمة، وينتهي بجلسة فنية مع فنانين من المدينة وهو ما يمثل مجازياً روح التحدي الجماعي بمستقبل أفضل.

2.3 البنية البصرية لفيلم أصوات:

تُصور مدينة قسنطينة ككيان حيّ ينبض بالحياة. يستخدم المخرج سلسلة من اللقطات الواسعة لتجسيد الجوانب المتباينة للمدينة. من الجسور العتيقة إلى الأزقة الضيقة المغطاة برسومات ال غرافيتي، تُجسد المدينة مسرحاً وشخصية بحد ذاتها، تُجسد صمود أهلها وكفاحهم.

يُبرز استخدام المناظر البانورامية الواسعة لمناظر مدينة قسنطينة الطبيعية، وخاصة جسورها الشهيرة، الثقل التاريخي والثقافي للمدينة.

بينما تُركز اللقطات المقربة على الأفراد - أيادي تشتغل ووجوه غارقة في التفكير، وأنشطة يومية عادية، مثل شرب القهوة. تُضفي هذه التفاصيل طابعاً إنسانياً على المواضيع الاجتماعية والسياسية الأوسع، مما يُقرب القصة من الجمهور.

تُستخدم اللقطات التفصيلية لتأكيد لحظات الألفة والتأمل. على سبيل المثال، تُركز الكاميرا على شاب يحدق في الأفق أو آخر يُلقي نظرة خاطفة على هاتفه. تُجسد هذه اللحظات القصيرة الاضطراب الداخلي والآمال العابرة.

كما يركز السرد البصري على عرض لقطات متوسطة لعرض الجانب التقليدي للمدينة من خلال الباعة الجائلين الذين يفتحون متاجرهم في الصباح الباكر والحرفيين وهم يمارسون حرفتهم. تُضفي هذه المشاهد شعوراً بالاستمرارية والتراث على تصوير المدينة.

في المقابل، يُظهر الفيلم جيل الشباب منخرطاً في المساعي الفنية، حيث يُشكّل الفنانون والمسرحيون والكتاب محوراً أساسياً في السرد. تُشكّل هذه الثنائية بين التقليدي والمعاصر عنصراً بصرياً رئيسياً، مُبرزةً تجاور القديم والجديد في ثقافة المدينة وسكانها.

2.4 الصوت والموسيقى كبنية بصرية في فيلم أصوات

تُشكّل الأصوات الطبيعية لمدينة قسنطينة جزءًا لا يتجزأ من سرد الفيلم. من صوت الأذان الذي يمتزج مع هدير حركة المرور الصباحية، إلى صراخ الباعة الجائلين الذي يتردد صده في الأزقة، يُعدّ تصميم الصوت عنصرًا أساسيًا في إضفاء الحيوية على المدينة. لا يقتصر المشهد السمعي على وضع الجمهور في قلب البيئة فحسب، بل يُمثّل أيضًا استعارة لتقاطع التقاليد والحداثة في الجزائر حيث تُشكّل هذه الأصوات المحيطة نبضًا إيقاعيًا يُحرّك السرد البصري.

كما لا يخلو الفيلم من لحظات الصمت، لا سيما في المشاهد التي يظهر فيها الأفراد منعزلين متأملين، فالصمت لا يمثّل العزلة فحسب، بل أيضًا التأمل، مما يتيح للجمهور مساحة للتأمل في عوالم الشخصيات الداخلية.

أما الموسيقى فكان لها دورٌ هامٌّ في تعزيز المشهد العاطفي للفيلم. حيث يستخدم الفيلم مزيجًا من الأداء الحي للفنانين يغنون الأغاني الكلاسيكية في المشاهد التي تُبرز تاريخ المدينة عمرانها لمسةً من الحنين والفخر الثقافي. مُدكّرًا الجمهور بـماضي قسنطينة العريق والموسيقى حديثة في الخلفية لإبراز الفجوة بين الأجيال وآمال الشباب.

في المشاهد التي تُصوّر الشباب وأحلامهم أو صراعاتهم الداخلية، تكتسب الموسيقى طابعًا أكثر حداثة. ويمكن تحقيق ذلك من خلال مزج المناظر الصوتية المحيطة أو المقطوعات الموسيقية التي تعكس المشاعر الكامنة في الفيلم.

يؤدي التعليق الصوتي في فيلم "أصوات" دورًا هامًا في توجيه المشاهد عبر بنية الفيلم غير الخطية. فبينما تُصوّر المشاهد غالبًا حقائق الحياة الملموسة في قسنطينة - شباب يتجولون في الشوارع، وحرفيون يعملون، أو لحظات من العزلة - يُقدّم التعليق مستوى من التأمل الذاتي يغوص في التجارب الداخلية للشخصيات. فهو يُتيح للجمهور الوصول إلى الدلالات العاطفية الكامنة في المشاهد، كاشفًا عما غالبًا ما يكون مكتومًا ولكنه عميق الشعور.

على سبيل المثال، يقدم المشهد الافتتاحي لقطة واسعة لجسور قسنطينة، مع تعليق صوتي يعكس تاريخ المدينة وروحها: "هذه المدينة المنحوتة من الحجر، تحتضن الجبال وترفض الانفصال عنها... كل يوم جديد يجلب النور. نور لا يأتي من السماء فحسب، بل من داخلنا... نحمل مدناً بأكملها في قلوبنا، ونعيد بناءها في كل مرة تهدمها الأيام." يقدم هذا التعليق التأملية المدينة كاستعارة للمرونة والترابط بين الماضي والحاضر، مما يمهد لاستكشاف الفيلم للهوية والانتماء ونقل التراث الثقافي.

طوال الفيلم، يواصل التعليق دوره كمرساة عاطفية وفلسفية رابطاً بين صراعات الشخصيات الشخصية وقضايا مجتمعية أوسع. ومن خلال التعبير عن أفكار الشخصيات وأحلامها وإحباطاتها، يُتيح التعليق نافذة على عوالمهم الداخلية، والتي قد لا تُنقل بالكامل من خلال الصور وحدها.

3. رسالة الفيلم وتيماته

3.1 تيمة التحدي:

يدور الفيلم حول موضوع رئيسي، هو الأمل والتحدي، مُجسّداً التوتر بين طموحات فئات من مجتمع مدينة قسنطينة والعقبات التي يواجهونها في حياتهم اليومية. يُقدّم الفيلم صورةً لشباب جزائريين يحملون ثقل التراث التاريخي والثقافي، بينما يواجهون واقعاً معاصراً يعيق تقدمهم.

يبدأ الفيلم بتصوير شاعري لقسنطينة لمدينة، تعكس روح أهلها. ومع بداية اليوم، نشهد معاناة الشباب من خلال سلسلة من المشاهد والمقابلات التي تكشف عن واقعهم وآفاقهم والتحديات التي يواجهونها، وهو ما تجسد في مقابلة أُجريت مع أحد الشباب (صورة رقم 2) المدينة حيث يقول «أنا أريد الاغتراب أريد العمل من أجل ضمان مستقبلي ومستقبل عائلتي المستقبل خارج البلاد» لكنه في نفس الوقت يستطرد ويقول « لكن هناك أمل والباقي على ربي » (لعجال، 2025)



صورة رقم 2 تمثل مقابلة مع أحد الشباب في فيلم أصوات

وبالمثل، يُعبّر الحرفي (صورة رقم 3) الذي عرض الفيلم، والذي يُمثّل التراث الثقافي للمدينة، عن نضال هادئ الخاص من أجل الحصول على محل رغم أنه مشهور بنصع الآلات الموسيقية وعضو في أهم الفرق الموسيقية الشعبية في قسنطينة والجزائر.



صورة رقم 3 تمثل مقابلة الحرفي صانع الآلات الموسيقية في فيلم أصوات

الذي بدوره يقول: « أول عمل لي قمت بصناعة طبله خاصة بي ومنها انطلقت في العمل... عندي بطاقة حرفي وشهادات لكنهم بخلاء لا يريدون إعطائي محل » (لعجال، 2025)، تُسلط قصته الضوء على التحديات الاجتماعية والاقتصادية الأوسع نطاقاً في الحفاظ على المهارات التقليدية مع التكيف على متطلبات عالم مُتغيّر.

الرغم تلك التحديات، يسرد الفيلم خطاب تسوده لحظات الأمل، لا سيما من خلال تصويره لمساعي الشباب الإبداعية. غالباً ما تتميز هذه اللحظات بمشاهد تجريدية يعبر فيها الناس فيها على توجهات فنية كالشباب بن يوسف علاء الدين الذي يتحدث عن أمل في الكتابة المسرحية ويعبر عن توجهاته الإبداعية وأمله في تطوير نفسه حيث يقول: « لابد للإنسان أن يتعلم أولاً كي يقدم أشياء تدوم » قاصداً بذلك جودة الأعمال الفنية.



صورة رقم 4 تمثل مقابلة مع بن يوسف علاء الدين كاتب مسرحي في فيلم أصوات

إضافة إلى عرض العديد من اللقطات الأخرى لمعرض الفنون المعاصرة قام به مجموعة من طلبة كلية الفنون والثقافة جامعة قسنطينة 3 تحت إشراف الأستاذ الشاب جلال بغزو حيث كانت تحمل في طياتها معالم الأمل

رغم التشاؤم الظاهر فيها من الوهلة الأولى، فهذه الأعمال ترمز إلى رغبتهم في الإبداع إعادة صياغة مستقبلهم وإيجاد معنى في عالم لا يُقدم سوى القليل من الضمانات.

على سبيل المثال، في مشهدٍ بصريٍّ أسر، نرى فتاة شابة تدخل المسرح وتجلس على الخشبة لتخبرنا عن فكرتها من العمل المسرحي وتقاربه لفلسفتها في الحياة «في نهاية الأمر الإنسان ليس خالد لكن هناك عدة طرق للخلود كأن تعمل عمل يرسخ أسمك» (لعجال، 2025) توضح كلماتها دور الفن كشكل من أشكال المقاومة ضد التوقعات المجتمعية، ويؤكد الفيلم على أهمية التعبير الفردي كوسيلة لتأكيد هوية الفرد في مواجهة الضغوط الخارجية.



صورة رقم 5 تمثل مقابلة الممثلة ساسوكي نوار في فيلم أصوات

تُقدّم المقابلات في فيلم أصوات منظورًا شخصيًا وعميقًا لمواضيع الأمل والتحدي الأوسع. تُمثل كل شخصية جانبًا مختلفًا من جوانب الحياة في قسنطينة، إلا أن قصصهم توحدّها قواسم مشتركة، وهي الصمود والبحث عن المعنى.

فالتاجر في محله الصغير (صورة رقم 6) في مدينة القديمة حيث كان يرتب أمور محله ويسمع إلى موسيقى وطنية "يا بلد المليون شهيد" والتي تعد من أكثر المقابلات المؤثرة في الفيلم : «لن نجد أفضل من الجزائر أنها بلد الخير وكل ما هو جميل المشكلة فينا فنحن متشائمون ولا نصلح في العادة» (لعجال، 2025) يعكس تصميمه الروح التي لا تلتين التي يحتفي بها الفيلم - فرغم التحديات النظامية، يواصل الناس حلمهم بحياة أفضل، مدفوعين بالإيمان بأن المثابرة ستؤدي في النهاية إلى النجاح.



صورة رقم 6 تمثل مقابلة مع أحد تجار المدينة القديمة في قسنطينة في فيلم أصوات

3.2 تيمة الهوية والانتماء:

في جوهره، فيلم "أصوات" هو فيلم عن الهوية والانتماء، يستكشف كيفية ارتباط سكان قسنطينة بصفة خاصة والجزائر بصفة عامة. لا تقتصر علاقة الشخصيات بالمدينة على القرب المادي فحسب، بل تمتد إلى أهمية عاطفية وثقافية. تُصوّر قسنطينة كمدينة عريقة في التاريخ، بجسورها القديمة وشوارعها الحجرية التي ترمز إلى الإرث الخالد للثقافة الجزائرية فهي أكثر من مجرد خلفية، بل شخصية حية تُشكّل حياة سكانها. غالبًا ما يُشير التعليق إلى أوجه تشابه بين جغرافية المدينة وحياة سكانها الداخلية. على سبيل المثال، تُمثّل جسور قسنطينة، التي تظهر غالبًا في لقطات واسعة وواسعة، استعاراتٍ للروابط بين الماضي والحاضر، وبين التقليد والحداثة. تُمثّل طبيعة المدينة الصخرية المرتفعة رمزًا للصمود، وتعكس تصميم المجتمع على تجاوز العقبات في طريقهم، يتجلى هذا الارتباط بين المدينة وأهلها بوضوح في التعليق الصوتي الافتتاحي «:هذه المدينة المنحوتة من الصخر، تعانق الجبال وتأبى فراقها في كل يوم جديد هناك ضوء.. ضوء لا يأتي من السماء فقط بل من داخلنا نحمل في قلوبنا مدننا بأكملها ونعيد بناءها كلما هدمتها الأيام » (لعجال، 2025) يُعزز هذا المقطع فكرة ارتباط أهل قسنطينة ارتباطاً وثيقاً بهوية مدينتهم الثقافية، حتى وهم يكافحون لإيجاد مكانهم فيها.

يستكشف الفيلم موضوع التراث الثقافي من خلال تصوير الحرفيين، الذين تُعتبر حرفهم التقليدية رابطاً بالهوية التاريخية للمدينة يمثل الحرفيون استمرارية الهوية، بكفاحهم من أجل البقاء في العالم الحديث يعكس التحديات الأوسع المتمثلة في الحفاظ على الشعور بالانتماء في مدينة تتطور باستمرار.

3.3 رسالة الفيلم:

تتشابك الرسالة الاجتماعية للفيلم بشكل وثيق مع استكشافه للهوية الثقافية. فمن خلال تصويره للشباب والحرفيين ومدينة قسنطينة نفسها، يُقدم فيلم "أصوات" تأملاً في تعقيدات الانتماء في عالم متجذر في التقاليد ومتغير باستمرار. إن معاناة الشباب مع البطالة، وتوقعات المجتمع، ورغبتهم في التعبير الإبداعي، ترمز إلى صراع جيلي أوسع نطاقاً - بين الرغبة في تكريم الماضي والحاجة إلى بناء مستقبل جديد.

يُعد المشهد الختامي للفيلم، والذي يُظهر جلسة مع الفنان الضربير شريف زعرور والباحث في تاريخ الجزائر رياض شراونة الضربير كذلك والأستاذ يخلف عبدالسلام المصور الفوتوغرافي والمسرحي خالد بالحاج (صورة رقم 7) ارتجالهم لأغاني شعبية تحمل روح الجزائر، رمزاً للأمل. وعلى الرغم من التحديات التي يواجهونها، إلا أن هناك شعوراً بأن الجيل القادم سيجد طريقة لموازنة ثقل تراثهم الثقافي مع تطلعاتهم للمستقبل. يعزز هذا المشهد الختامي الرسالة النهائية للفيلم: الأمل والهوية مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، ومن خلال ارتباطهم بكل من مدينتهم وأحلامهم سيجد شباب الجزائر طريقاً للمضي قدماً.



صورة رقم 7 تمثل مقابلة مع أحد تجار المدينة القديمة في قسنطينة في فيلم أصوات

4. تجليات الأسلوب التجريبي في فيلم أصوات

4.1 المونتاج والأسلوب التجريبي:

يعتمد أسلوب المونتاج في فيلم "أصوات" بشكل كبير على أسلوب كل من سيرغي إيزنشتاين ومفهومه لتداعي اللقطات وأدراك المعنى وأسلوب دزيغا فيرتوف التجريبي، وهو أسلوب تجمع بين صور مختلفة لإيصال معاني أعمق (أحمد، جوان 2023). في هذا الفيلم، يُستخدم المونتاج لإبراز التناقضات بين الماضي والحاضر

بالإضافة إلى الأمل والتحدي. تُشكّل هذه التناقضات الموضوعية أساس رسالة الفيلم حول الحياة في مدينة قسنطينة وعوالم المجتمع الداخلية.

ويستخدم الفيلم لقطات وصورًا للمدينة العتيقة، ممزوجة بقطات معاصرة للمدينة. على سبيل المثال تتلشى صور قديمة لأحياء المدينة القديمة لتظهر في لقطات معاصرة نابضة بالحياة لنفس الشوارع والجسور التي تعج الآن بالسيارات والباعة الجائلين والشباب. هذا التباين بين الماضي والحاضر ليس بصرياً فحسب، بل عاطفي أيضاً؛ فهو يعكس التغيرات في البنية التحتية للمدينة وروحها، ويلمح أيضاً إلى التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها الجزائر. يتيح المونتاج للمشاهد رؤية صمود الهوية الثقافية رغم التغيرات التاريخية. علاوة على ذلك، يلمح الفيلم، من خلال عرض هذه الأزمنة المتباينة، إلى استمرارية النضال والصمود في حياة الناس، وخاصة الشباب. ويوضح المونتاج أنه بينما تتطور المدينة المادية، تبقى أحلام سكانها وتحدياتهم وهوياتهم في حوار مستمر مع تاريخهم.

وظف المخرج المونتاج لموازنة مشاهد أمل الشباب بالواقع الذي يواجهونه. قد يُظهر أحد المشاهد شاباً يضحك، أو ينخرطون في مشاريع إبداعية كالتصوير والفن. تتخلل هذه المشاهد صوراً من التأمل الهادئ، كصورة شاب وحيد، يُضفي التذبذب العاطفي بين الأمل واليأس توتراً إيقاعياً طوال الفيلم. تعكس تقنية المونتاج هذه الحالة النفسية وهو ما يجعل الإيقاع العاطفي للفيلم أكثر تعبيراً عن الواقع حيث يختبر المشاهد التقلبات التي ترسم ملامح حياة شخوص الفيلم.

4.2 الحركة البطيئة والتسلسلات المكررة

هناك جانب تجريبي آخر في "أصوات" وهو استخدام التلاعب السينمائي بالوقت - على وجه التحديد الحركة البطيئة والتكرار - للتأكيد على النّقل العاطفي للحظات الرئيسية وعكس الحالات الداخلية للشخصيات. يُضفي استخدام مشاهد الحركة البطيئة لمسةً من الخيال والتأمل على الفيلم (Murch, 2001). على سبيل المثال، في المشاهد التي يتجول فيها الشخصيات في الشوارع أو يعبرون فيها على خواطرم، يُتيح التصوير البطيء للجمهور وقتاً لاستيعاب تفاصيل محيطهم وتعبيراتهم العاطفية. يُوحى هذا بأن لحظات الإبداع أو التأمل هذه نادرة و ثمينة، وتُتيح استراحةً قصيرةً من ضغوط الحياة اليومية.

يُعزز التصوير البطيء ارتباط المشاهد بالمشاهد العاطفية للشخصيات. ففي مشهدٍ ينظر فيه شاب إلى المدينة، يُتيح الإيقاع البطيء للمشاهد التأمل في الشاب ويطرح العديد من التساؤلات، يُستخدم التكرار لإبراز الطبيعة الدورية للحياة اليومية في قسنطينة. على سبيل المثال، تُعرض مشاهد استيقاظ المدينة - الباعة يُرتبون أكشاكهم، والحافلات تمر، والناس يمشون إلى أعمالهم - مرات عديدة طوال الفيلم، مع اختلافات طفيفة أحياناً.

يعكس هذا التكرار طبيعة حياة الشخصيات الروتينية، والتي غالباً ما تكون رتيبة، حيث يبدو كل يوم وكأنه اختلاف طفيف عن سابقه، ومع ذلك فهم يحملون في كل خطوة ثقل أحلامهم وتطلعاتهم.

ترمز هذه التقنية أيضاً إلى حالة الجمود التي يشعر بها بعض الشخصيات في حياتهم الشخصية والمهنية. فالطابع المتكرر لبعض اللقطات والمشاهد يعكس كفاحهم للتحرر من أنماط حياتهم المتكررة، وللهرب من القيود التي تفرضها ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية.

3.2 دمج الوثائقي مع الأسلوب التجريبي:

يمزج فيلم "أصوات" بين أسلوبين سينمائيين متميزين: الواقعية الوثائقية والفن التجريبي. يخلق هذا الدمج تجربة بصرية وسردية آسرة، تتيح للمشاهد رؤية القضايا الحقيقية التي يواجهها الشباب الجزائري، مع التفاعل في الوقت نفسه مع عوالمهم الداخلية الأكثر تجريداً.

تتجلى عناصر الفيلم الوثائقي بوضوح في مشاهد الحياة اليومية في قسنطينة. يلتقط الفيلم إيقاعات المدينة من خلال التصوير بالكاميرا المحمولة، والإضاءة الطبيعية، والتسجيل الصوتي المباشر. نرى الحرفيين يعملون، والشباب يتحدثون في المقاهي، والباعة الجائلين ينصبون أكشاكهم، ووسائل النقل الجماعية. هذه اللحظات خامة وغير مُفلترة، مما يمنح الجمهور نظرة أصيلة على المشهد الاجتماعي والاقتصادي للمدينة. يتجلى الأسلوب الوثائقي أيضاً في المقابلات، حيث يتأمل الشباب والشابات في حياتهم وأحلامهم وتحدياتهم. هذه القصص الشخصية تُرسخ الفيلم في الواقع، مُتيحة نافذة على تجارب مختلفة لشرائح المجتمع.

على النقيض من ذلك، تتسم العناصر التجريبية في الفيلم بتجريدية وشاعرية أكبر. وتشمل هذه العناصر مشاهد سريالية، حيث تتكرر صور لوحات تشكيلية، وأقدام تمشي، ووجوه تحديق في البعيد، وتتداخل مع موسيقى ومناظر صوتية وتجسيد لبقور في قاعة صغيرة وغيرها من اللقطات التجريدية من معرض للفن المعاصر. هذه اللقطات ليست مرتبطة بحدث سردي محدد، بل تثير حالة من التأمل والشوق. حيث يصبح المونتاج أكثر ارتباطاً بالواقع، وتؤتّب اللقطات والأصوات ليس لترابطها المنطقي، بل لصداها العاطفي ومعناها الرمزي. إن دمج الواقعية الوثائقية مع التقنيات التجريبية يؤثر بشكل كبير على تجربة الجمهور للفيلم، مما يخلق تجربة مشاهدة واقعية مُتجذّرة في الواقع. وتُقدّم المقابلات والأصوات الطبيعية واللقطات المراقبة للحياة اليومية سياقاً اجتماعياً وسياسياً، مُسلّطة الضوء على قضايا مثل البطالة والهوية والرغبة في مستقبل أفضل. هذا التّأصل في الواقع يُضفي على الفيلم طابعاً مباشراً ووثيق الصلة، ما يُشعر الجمهور بالارتباط بنضالات الشخصيات وآمالها.

مع ذلك، تُمكن العناصر التجريبية الفيلم من تجاوز جذوره الوثائقية، مُقدّمةً للجمهور تجربةً أكثر ذاتيةً وعاطفية. من خلال الحركة البطيئة، والتكرار، والصور المجردة، والسرد غير الخطي، يدعو الفيلم المشاهدين إلى سبر أغوار شخصياته. لا يقتصر الفيلم على الحقائق الخارجية فحسب، بل يتناول أيضًا الأحلام والمخاوف والرغبات الداخلية. هذا المزيج من الأساليب يشجع الجمهور على التفاعل مع الفيلم على مستويات متعددة، فكريًا وعاطفيًا.

يُدعى أيضًا إلى التأمل في مواضيع عالمية أوسع نطاقًا كالأمل والصمود والبحث عن الهوية. بدمج الواقعية الوثائقية مع التقنيات التجريبية، يتحرر الفيلم من أسلوب السرد التقليدي، مقدّمًا تجربة غامرة ومؤثرة عاطفيًا.

خاتمة:

تدور أحداث فيلم "أصوات" حول حياة الإنسان في المدينة، مركزًا على التحديات التي يواجهونها يوميًا والآمال التي يحملونها في قلوبهم. يعتمد الفيلم على بنية سردية شعرية وغير خطية، حيث يمزج بين الأسلوب الوثائقي والفن التجريبي لإيصال رسالته الاجتماعية والإنسانية.

تظهر التعليقات الصوتية في الفيلم كأداة محورية تربط المشاهد بالحياة الداخلية للشخصيات، حيث تعكس أفكارهم وآمالهم ومخاوفهم. تُستخدم هذه التعليقات بلهجة فلسفية وشاعرية، ما يضيف عمقًا إضافيًا على المشاهد اليومية التي تصور الحياة في قسنطينة. فهي لا تكتفي بوصف الأحداث بل تقدم تأملات وجودة حول الحياة، الهوية، والتحديات الاجتماعية.

يتمحور الفيلم حول نيمات الأمل والتحديات، حيث يُظهر صراع الشباب بين طموحاتهم والقيود التي يفرضها الواقع الاقتصادي والاجتماعي. من خلال المقابلات مع الشباب والحرفيين، يعكس الفيلم إحباطاتهم لكن يُبرز في الوقت نفسه تمسكهم بالأمل، وخصوصًا من خلال التعبير الفني والإبداعي.

كما يعكس الفيلم نيمة الهوية والانتماء بوضوح، حيث تُمثل مدينة قسنطينة أكثر من مجرد مكان جغرافي؛ إنها استعارة للتراث والتاريخ الذي يحمل الناس مسؤوليته. تُظهر الحرف التقليدية في الفيلم التوتر بين الحفاظ على هذا التراث والضغط الاقتصادي التي تهدد باندثاره.

أخيرًا، يدمج الفيلم بين أسلوب الوثائقي الذي يلتقط واقع الحياة اليومية للشباب والحرفيين، مع أسلوب الفن التجريبي الذي يعبر عن أحلامهم وصراعاتهم الداخلية بطرق مبتكرة. هذا المزج يُعزز تجربة المشاهدة، ويضيف على الفيلم بُعدًا فنيًا وتأمليًا يُلهم الجمهور للتفكير في التحديات والآمال التي تواجه الجيل الشاب.

الإحالات وقائمة المراجع:

1. A.L Rees .(1999) .*A History of Experimental Film and Video: From the Canonical Avant-Garde to Contemporary British Practice* .london : BFI Publishing.
2. W Murch .(2001) .*In the blink of an eye: A perspective on film editing* .Los angeles : Silman-James Press.
3. باتريشا أوفدرهايدي . (2012). *الفيلم الوثائقي مقدمة قصيرة جدا* . القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
4. حديجة بريك . (2021). *الفيلم الوثائقي... مدخل للفهم والتفسير* . *مجلة آفاق سينمائية*، العدد 3 مجلد 08.
5. سماش سيد أحمد . (جوان 2023). *توليفة المونتاج في طرح مضامين الأفلام السياسية الأفلام السياسية* . *مجلة آفاق سينمائية*، العدد 1 المجلد 10.
6. عبد المنعم لعجال (المخرج) . (2025). *أصوات [فيلم سينمائي]* .